تابع لأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية

الفَصْلُ الرَّابع

أثرُ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة في توحيد المملكة

المبحث الأول: اتِّخاذ الملك عبد العزيز الكتاب والسُّنَّة دستوراً لبلاده:

اتَّخذ الملك عبد العزيز - رحمه الله - كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم دستوراً لبلاده، ومنهجاً لرعيته، وذلك لاعتقاده أنَّه لن يُصْلِح هذه الأُمَّة إلاَّ ما صلح به أولها، وأنَّه لن يكون للمسلمين عِز ولا نصر ولا تمكين في الدنيا، ولا فوز ولا نجاة في الآخرة، إلاَّ بامتثال أوامر الله تعالى وطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، واجتناب ما نهى الله عنه ورسولُه صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: **{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** ١.

وقال سبحانه: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً}** ٢.

وقد كانت تعليماته الأساسية التي أصدرها ونُشِرَت في جريدة أُمِّ القرى يوم 21 صفر 1345 هـ: "جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسُنَّة رسوله، وما كان عليه الصحابة والسَّلَف الصَّالِح"٣.

ولخَّص الملك عبد العزيز - رحمه الله - منهجه لبناء المجتمع السعودي في عبارةٍ واحدةٍ، ضمَّنها كُلّ ما زخرت به حياته من أعمالٍ وإصلاحاتٍ فقال: "دستوري، وقانوني، ونظامي، وشعاري دين مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فإمَّا حياة سعيدة على ذلك، وإمَّا موتة سعيدة "٤.

وكان - رحمه الله - كُلَّما سُئِلَ عن دستورِ بلاده أجاب: "دستورنا القرآن"، وهو يعني تقيُّده هو ومملكته بأحكام الشرع الإسلامي المستمدَّة من معاني القرآن، وما لم يكن فيه فمن حديث رسوله وعمله، وما لم يكن فيهما، فمن قضاء أصحابه وسيرتهم، وما لم يكن فمن منهج أهل العدل... "٥.

وقال - رحمه الله – لوفد العلماء الهنود: " أعترف أمام الله وأمام كُلِّ المسلمين بأني لا أريد إلاَّ العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء، وأنَّ عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وإنَّنا نعود في كُلِّ شيء لأحكام القرآن والسُنَّة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكُلّ ما نطمع فيه أن يتَّحِدَ العلماء المسلمون، فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحادنا قوياً متيناً، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعاً تامّاً لأحكام القرآن والسُنَّة"٦.

وكان - رحمه الله - يدعو الله - جلَّ وعلا - بأنْ ينصره ويؤيده، مستشعراً قوله تعالى: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}**٧.

ومن دعائه: " اللَّهُمَّ إنَّك تعلم إن كان ما أُقسم اليمين عليه هو عقيدتي التي أعتقد أن تؤيدني وتنصرني.. وإن كنت تعلم أنَّ ما أُقسم عليه مخالفاً لما أعتقد أن تكفي المسلمين

---

١ النور: 51

٢ الأحزاب: 36

٣ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 354/1

٤ الملك الرَّاشِد ص 382

٥ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 353/1

٦ الملك الرَّاشد ص 50

٧ جزء من الآية 7 من سورة مُحَمَّد.

سوئي.. اللهم إنَّك تعلم أني أحبُّ مَنْ تحبّ وأبغضُ مَنْ تبغض"١.

وعن الأخذ بالمدنيّة والحضارة الحديثة يقول الملك عبد العزيز - رحمه الله -: "أمَّا التمدُّن الذي فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا، فمرحباً به وأهلاً. وأمَّا التمدُّن الذي يؤذينا في ديننا وأعراضنا فو الله لن نرضخ له ولن نعمل به، ولو قُطِّعت مِنَّا الرِّقاب ".

وقال: " إني أرى كثيراً من الناسِ ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا مِنَّا إلاَّ لا تباعنا كتاب الله وسُنَّة رسوله، ومنهم مَن عاب علينا التمسُّك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال العصرية، فأمَّا الدين فو الله لا أغير شيئاً مِمَّا أنْزَلَ الله على لسان رسوله الكريم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، ولا أتبع إلاَّ ما جاء به، وليغضب علينا مَنْ شاء، وأمَّا الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا، ويبيحها دين الإسلام، فنحن نأخذها ونعمل بها، ونسعى في تعميمها، ولا مدنية أحسن وأفضل من مدنية الإسلام"٢.

وبهذا نجد أنَّ الملك عبد العزيز اتَّخذ كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم - دستوراً يعمل به ويطبق أحكام شريعته السمحة في جميع أنحاء المملكة، وعلى الجميع من كبير وصغير، وبدو وحضر، باعتبار أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمنٍ وسلام، ومحبَّةٍ ووئام. وقد تقبَّل المجتمع هذا النظام بكُلِّ محبة وارتياح.

يقول سيد مُحَمَّد إبراهيم: " لقد كان من أهم أسباب نجاح الملك عبد العزيز - رحمه الله - هو تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..وما كادت الأمور تستقر في بلاده حتى اتخذ من كتاب الله دستوراً يعمل بموجبه، ويطبق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة، ووقف إلى جواره أبناء الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب يوضِّحون للناس أمور دينهم، ويحكمون بما أمر الله به"٣.

وهكذا نرى أنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - قد اتخذ القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً ودستوراً لبلاده، وأقام دولته على العقيدة الصحيحة، وعلى قواعد الإسلام التي تدعو إلى كُلِّ خير ونعمة وفضل، ولذا جلب الله له الخيرات الكثيرة، والنعم العظيمة، كما هي سُنَّته في خلقه بأنَّ كُلَّ من استظلَّ في ظِلِّه، واهتدى بهديه، وتمسَّك بشرعه بصدقٍ وإخلاص، أنعمَ اللهُ عليه بالنعم الدنيوية، غير ما ادَّخر له من النعم الأخروية.

المبحث الثاني: تقريب الملك عبد العزيز للعلماء ومشاركتهم:

إنَّ للعلم والعلماء في الإسلام مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فإنَّ اللهَ تعالى استشهد العلماء على ما شهد به على وحدانيته، فقال جلَّ وعلا: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ}**٤.

وقد أشاد الله بذكر الذين أوتوا العلم، ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**٥.

والعلماء أعرف الناس بالله تعالى، وأشدهم منه خشية، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف. قال تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** ١. والعلماء ورثة الأنبياء، كما في

---

١ الملك الراشد ص 366 ، تاريخ المملكة العربية السُّعُودِيَّة ، لصلاح الدين المختار 516-515/2

٢ السعوديون والحل الإسلامي 30-31 ، وعاهل الجزيرة ، لعبد الرحمن نصر ص 220

٣ تاريخ المملكة العربية السُّعُودِيَّة ، ص 204

٤ آل عمران: 18

٥ المجادلة: 11

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ العلماء ورثة الأنبياء وإنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر" ٢.
إلى غير ذلك مِمَّا جاء في فضلهم والثناء عليهم.

والعلماء هم مصابيح الهدى، وحماة الحق، وأنصار دين الله تعالى.

وفي عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - قيَّض الله للدعوة السَّلَفِيَّة علماء ربانيين، ودعاة صالحين، يقومون بالدَّعْوَة إلى الله تعالى وفق هدي كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهج السَّلَف الصَّالِح، من تقرير العقيدة الصحيحة، وإرشاد الناس إلى ما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، وكانوا يستخدمون الأسلوب الأمثل في الدَّعْوَة إلى الله، ممتثلين قوله سبحانه: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**٣. ولم يكونوا رحمهم الله - يكتفون بالتعليم، أو الوعظ والإرشاد، أو القضاء والإفتاء، بل كانوا يؤلفون الكتب القيمة والرسائل المفيدة، وخاصّةً في بيان العقيدة الصحيحة وشرحها، والرد على أهل البدع والأهواء، ونقض أقوالهم الباطلة، وتفنيد افتراءاتهم على الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة وأهلها.

وقد اهتم الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأولئك العلماء الأجِلَّاء، فقرَّبهم إليه، وأكرمهم ٤، لا سيما آل الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب - رحمهم الله - وذلك عرفاناً منه بفضلهم، وتقديراً لعلمهم، وعظيم جهودهم في الدَّعْوَة.

وكان - رحمه الله - يستقبل العلماء، ويجتمع بهم في كُلِّ يوم خميس من كل أسبوع، في جلسة عامَّة مفتوحة في قصره، وكانت له توجيهات إسلامية، وفي موسم الحج كان يلتقي بكبار العلماء والزعماء في العَالَم الإسلامي، ويناقش معهم القضايا الإسلامية، ومسائل العقيدة.

وكان - رحمه الله - عوناً للعلماء - بعد عون الله تعالى، فهو - رحمه الله - لم يألُ جهداً في تسخير كُلِّ إمكانيات دولته في سبيل تعليم الناس أمور دينهم، ونشر العقيدة السَّلَفِيَّة بينهم.

ولا شكَّ أنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - كان كأسلافه، عقيدته سلفية، وكان نصيراً لعقيدة السَّلَف، ويستشير العلماء في أمور الدين، وينفِّذ أحكامهم، ويعمل بنصائحهم وفتاويهم، مع أنَّه ذو فكرٍ سديدٍ، وإدراكٍ عميقٍ، واعتقادٍ سليمٍ، مبني على استقلال في الشخصية، وحُرِّيَّةٍ في الاختيار، وقوة في الإرادة، وإمضاء في العزيمة، وسعة في الأفق، ويشاركهم في التوجيه والنصائح والإرشاد، والدَّعْوَة إلى عقيدة السَّلَف الصَّالِح.. ٥. مِمَّا يدل على علمه ورسوخ قدمه في عقيدة السَّلَف الصَّالِح، وأنَّ عليها اعتقاده - رحمه الله تعالى - لكنَّه مع ذلك يدرك أهمية العَالِم المُتَخَصِّص، المعروف بالدِّيانة والصِّدق ويضعه في مكانه، ويعلم أنَّ ذلك هو المنهج الصواب٦.

ولا ريب أنَّ لتقريب الملك عبد العزيز - رحمه الله - للعلماء الرَّبَّانيين المعروفين بالصدق والإخلاص، وحسن الديانة والمعتقد، كان له الأثر البالغ في بَثِّ الوعي الدِّيني بين الناس، وتعريفهم بالمعتقد الصحيح، كما كان له الأثر الكبير في تطبيق الشريعة والفصل في القضايا

---

١ فاطر: 28

٢ سنن أبي داود 58/4 ، كتاب العلم ، رقم 3641 ، الترمذي 49/5 كتاب العلم ، رقم 2682 ، ابن ماجه 81/1 المقدّمة رقم 123

٣ النحل: 125

٤ انظر: شبه الجزيرة ، لخير الدين الزركلي 741/2

٥ انظر: الدرر السنية 156/11 ، 160 ، 171 ، 174

٦ انظر: عقيدة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب السَّلَفِيَّة وأثرها في العالم الإسلامي ، للدكتور صالح بن عبد الله العبود ، ص 596

المهمة وكشف الشُّبَه، مِمَّا نتج عنه تجنُّب المخاطر ودروب الهلاك والفُرْقة والانقسام.

وقد سار أبناءُ الملك عبد العزيز البررة مِنْ بعده، على هذه السُّنَّة المباركة في إكرام العلماء وطلبة العلم. فرحم الله مَنْ مضى إلى ربِّه، وحفظ الله خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده، والنَّائب الثاني.

المبحث الثالث: تقرير الملك عبد العزيز للدعوة السَّلَفِيَّة ونشرها:

إنَّ دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب السَّلَفِيَّة التي نادت بتصحيح العقيدة، وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، لم تزل تنمو وتتسع بعد وفاة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، والإمام مُحَمَّد بن سعود - رحمهما الله - حتى بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مبلغاً عظيماً على يد الأمير سعود المعروف بالكبير، فقد رفرفت أعلام التوحيد على ربوع منطقة نجد كلها حتى بلغت أطراف سوريا والعراق وعُمان، ووجدت تقبُّلاً كبيراً في كثيرٍ من بلاد المسلمين.

إلاَّ أنَّه بسبب نشر الدعاية السيئة ضِدّ هذه الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة في البلاد الإسلامية عادت مظاهر الشرك والخرافات والبدع تظهر من جديد، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والبناء عليها، والتبرُّك بها والنذر لها والاستعاذة بالجِنّ والذبح لهم.. والحَلف بغير الله إلى غير ذلك من أنواع الشِّرْك الأصغر والأكبر١.

وَلَمَّا مكَّن الله للملك عبد العزيز من تقلّد مهام الأمور في البلاد، كان أوَّل اهتماماته تقرير العقيدة السَّلَفِيَّة ونشرها بين الناس، والذَّب عن حياضها، واعتبرها القاعدة الرئيسة في حياة المسلمين، وذلك لأنَّ تصحيح العقيدة هو الأساس، فشهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّداً رسول الله هي أوَّل أركان الإسلام، والرسل أوَّل ما دعوا الأمم دعوهم إلى التوحيد، وتصحيح عقائدهم، فالتوحيد هو أساس دعوة الأنبياء من أوَّلهم إلى آخرهم، قال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}**٢.

وقال تعالى عن الأنبياء عليهم السلام: **{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** ٣.

فجميع الأعمال من العبادات والتصرُّفات تنبني على العقيدة، وبدون التوحيد، لا فائدة من الأعمال مهما كان نوعها.

ومن هذا يتبيَّن ما لتصحيح العقيدة من أهمية بالغة، وهي أولى أوليات الدَّعْوَة، فأوَّل ما تقوم الدَّعْوَة على تصحيح العقيدة، ومن هذا بدأ الملك عبد العزيز - رحمه الله - دعوته وجهاده.

فقد كان - رحمه الله - مُحِبّاً للتوحيد مخلصاً لله فيه. وكان يبني عليه كُلّ قراراته وتصرُّفاته، على نفسه وعلى رعيَّته.

وما من شكٍّ أنَّ العقيدة السَّلَفِيَّة الصَّحيحة التي تدعو إلى عبادة الله وحده، وترك البدع والخرافات، فإنَّها تدعو أيضاً إلى المحبَّة والتآلف بين القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الصَّف، وعدم التنازع والتفرُّق، وهذا ما يدعو إليه الكتاب والسُّنَّة في كثيرٍ من الآيات البينات والأحاديث الصحيحة.

والصِّفة الأكثر أهمية - وزناً وعمقاً - في شخصية الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنَّه رجل عقيدة قبل كُلِّ شيء ومؤدى ذلك أنَّ جميع الخصائص والصفات الأخرى تستمد من العقيدة قوتها وأثرها.

ومن الأدلة الواضحة والجلية على محبته للتوحيد وتمسُّكه به وإخلاصه له وإعلانه أنْ اختار الشهادتين شعاراً لرايته وعَلَماً لمملكته.

---

١ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبدالعزيز، للدكتور مُحَمَّد ناصر الشثري 269/1 بتصرف.

٢ النحل: 36

٣ الأنعام: 88

ومن أقواله - رحمه الله - في هذا قوله لخالد بن لؤي: " كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسول الله، اللَّهم صَلِّ وسلِّم وبارك عليه، إني والله، وبالله، وتالله، أُقَدِّم دمي ودم أولادي وكُلَّ آل سعود فداءً لهذه الكلمة لا أضنُّ به"١.

ومن أقواله: " أنا داعية أدعو إلى عقيدة السَّلَف الصَّالِح، وهي التمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الخلفاء الراشدين..."٢.

ويقول - رحمه الله - " إنِّي أفضِّل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده، على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وهي على حالتها من الكفر والضلال، اللَّهُمَّ إنَّك تعلم أني أُحِبُّ مَنْ تُحِبّ وأبغض مَنْ تبغض. إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنَّما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد "٣.

وأوصى - رحمه الله - ولي عهده، فقال: "تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد.

ثانياً: عليك أن تجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سِرّاً وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامَّة..."٤.

إنَّ كُلَّ فكر الملك عبد العزيز وطموحه هو تحقيق العقيدة الصحيحة، ورفع راية التوحيد عالية خفَّاقة على أرض الجزيرة العربية، وتطبيق الشريعة الإسلامية على هدي الكتاب والسُنَّة النبوية، واتباع طريق السَّلَف الصَّالِح، ونشر العدل بين الناس، وإقامة الحدود.

فالملك عبد العزيز – رحمه الله - لم يكن مجرَّد طالب للملك والجاه في الدنيا، بل كان صاحب عقيدة ودين، يجد في ذلك سعادته في الدنيا، ونسأل الله تعالى أن يرزقه سعادة الآخرة.. يقول في وصيته لولي عهده أيضاً: "واعلم أنَّا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا وقوتنا، وإنَّما مَنَّ به الله علينا بسبب كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسول الله"٥.

وكان - رحمه الله - لا يولِّي أميراً على بلد أو جيش أو يُعَيِّن قاضياً إلاَّ ويوصيه بتقوى الله، والتزام الإسلام، والدَّعْوَة إليه، وكثيراً ما كان يردِّد: "اللهمَّ إنْ كان قصدي إعلاء كلمة الله، ونصرة الإسلام والمسلمين، فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر، وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل"٦.

ولا ريب أنَّ الله تبارك وتعالى أعزَّ الإسلام والمسلمين بظهور الملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي أسَّس دولته على قواعد التوحيد، ووقف أمام تيارات الشرك والخرافات البدعية، ولم يجامل أو يداهن أحداً في سبيل عقيدته بل عقد العزم على تطهير الجزيرة من كُلِّ ما يفسد على الناس عقيدتهم، وهذا العمل لم يقدم عليه إلاَّ مَنْ ملأ التوحيدُ قلبَه، وأنار الله بصيرته للعمل به، والدَّعْوَة

---

١ الملك الرَّاشد ص 362

٢ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص 216 ، الملك الراشد ص 371

٣ انظر: منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السُّعُودِيَّة المصرية ، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ص 38

٤ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي ص 159

٥ انظر الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم للقصيمي ، ص 23 ، ط 2 ، 1989م.

٦ من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه النادرة ، لسعد الرويشد ، ص 9

إليه.
المبحث الرَّابع: القضاء على أسباب الشرك ومحاربة الأفكار الهدَّامة:
إنَّ من فضل الله تعالى وتوفيقه على أهل هذه البلاد خاصَّة، وأهل الأرض عامَّة أن جعل هذه البلاد موطنا لدعوة التوحيد، ومنطلقاً لهذه الدَّعْوَة حيث جعل فيها بيته الحرام، فيه آياتٌ بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً. قال تعالى **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً}** ١.
حيث دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد، وأمر بتطهير البيت العتيق للطائفين والقائمين والركَّع السجود، وعلى أرض هذه الجزيرة العربية دعا هود وصالح، ودعا خاتم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - إلى كلمة التوحيد. ودعا الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.
وامتداداً لجهود الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، والإمام مُحَمَّد بن سعود، قام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بالدَّعْوَة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، وسعى إلى القضاء على جميع الأسباب المفضية إلى الشِّرْك والبدع والخرافات المنتشرة في ذلك الوقت، مثل البناء على القبور، وتعظيمها، والتبرك بها، إلى غير ذلك مِمَّا يؤدِّي إلى الشرك بالله تعالى.
ومن ذلك أنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - حينما دخل جده سنة 1344هـ، كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبَّة حواء - المزعومة - وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزَّمان، والتي كان يتقرَّب بها النَّاس - كما يظنون - إلى الله تعالى.
ومن ذلك هدم صنم ذي الخَلَصَة في منطقة تَبَالة وهي بلد باليمن٢.
إنَّ مظاهر الشرك مع شدة تحريم الإسلام لها، ووعيد أصحابها بالخلود في نار جهنَّم يوم القيامة إن لم يتوبوا إلى الله تعالى قبل الموت، كما قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}** ٣.
فإنَّها أيضاً تدل على التخلُّف العقلي، وسذاجة عابديها في الدنيا. والإسلام يريد من العبد أن يتوجَّه إلى الله وحده، ليكون قويّاً عزيزاً.
يقول الملك عبد العزيز - رحمه الله -: " إنَّ سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص، والخروج من أسر البدع والضلالات، والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم" ٤.
لقد وفَّق الله موحِّد المملكة الملك عبد العزيز - طَيَّب الله ثراه - أنْ وحَّد الناس على عبادة ربهم، حتى أنَّه وحَّدهم في تأدية صلاتهم، بعد أن كانوا يتَّخذون جماعات متعدِّدة في المسجد الحرام.
قال المعصومي: "لَمَّا تشرَّفت بمكَّة سنة 1353هـ انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرَّفة - زادها الله تشريفاً وتعظيماً - ولَمَّا شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس، زادني سروراً على سرور؛ لاضمحلال بدعة تعدُّد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور

---

١ آل عمران: 96 - 97

٢ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. مُحَمَّد بن ناصر الشثري 277/1
نقلاً عن تعليقات الشيخ مُحَمَّد بن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ص 285 ، ط. السعادة بمصر ، سنة 1953م بتصرُّف.

٣ النساء: 48

٤ جريدة أم القرى ، العدد 333 في ذي الحجة سنة 1394 هـ.

التي كانت من أضَرّ الأشياء على عقيدة المسلمين"[١].

محاربة الأفكار الهدَّامة:

وعلى الرَّغم من الأدلة الواضحة على صفاء الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة ونقائها، فإنَّها لم تسلم من مكر أصحاب الأفكار والمذاهب الهدَّامة.

وقد ابتلي العالم الإسلامي في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري بكثيرٍ من التيارات الوافدة، كالقومية، والعلمانية، والاشتراكية، وغيرها من المذاهب المعادية للإسلام.

وهذه المبادئ تعادي الإسلام بما تشتمل عليه من نظم لا تتَّفِق مع مبادئه السامية.

وقد زرع أعداءُ الإسلام لهذه الأفكار والمذاهب الهدَّامة دعاةً بين المسلمين هم من الكُفَّار ثُمَّ من تلامذتهم من المسلمين. فجنَّد أصحاب هذه الأفكار أقلامهم لترويج تلك الأفكار، وأغرقوا الشعوب بسيلٍ من الشعارات التي لا محتوى لها، ولا مضمون وراءها، كالتغيير الثوري، ومجتمع الكفاية، والتقدُّمية، وغير ذلك من الشعارات التي أجادها هؤلاء الذين سَمُّوا أنفسهم تقدُّميين، ولم تجن الشعوب العربية من وراء ذلك شيئاً.

وفي المقابل يصفون دعاة الإسلام بالرجعية، ويزعمون أنَّ الإسلام هو سبب تأخُّر المسلمين، والمطالبة بإقصاء علماء الدين باعتبارهم عوائق في طريق التقدُّم والتطور.

وكان هناك مَنْ يطالب بإلغاء المحاكم الشرعية وسيادة القانون الوضعي، ومنع تعدُّد الزوجات، وأن تمنح الفتاة الحرية الكاملة، بحيث تفعل ما تريد، ولو كان في ذلك مخالفة للشرع.

والمملكة العربية السُّعُودِيَّة باعتبارها واحدة من البلاد العربية والإسلامية، تتأثَّر بما يوجد على الساحة العربية والإسلامية سلباً وإيجاباً، بل إنَّ هذه البلاد كانت مستهدفة بهذه الأفكار، لعلمهم بما تتمتَّع به من زعامة في العالم الإسلامي، حيث أنَّها بلاد الحرمين، ومهبط الوحي، وقلعة الإسلام.

لكن بفضل الله تعالى، ثُمَّ بجهود الملك عبد العزيز - رحمه الله – ومن حوله من علماء الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة، وقفت هذه الدَّعْوَة المباركة سدّاً منيعاً أمام تلك الأفكار والمذاهب الهدَّامة من الوصول إلى البلاد؛ وذلك لاقتناع الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأنَّ تلك المذاهب أجنبية وغريبة على معتقد بلاده.

وفي الوقت نفسه اهتمَّ الملك عبد العزيز بمنع الكتب والنشرات المخلة بالأخلاق والعقائد من دخولها إلى البلاد، حتى أنَّه أمر بوضع نظام للجمارك لضبط هذه الكتب والنشرات[٢].

وكان رحمه الله - يهدف من وراء هذه الإجراءات أن يحفظ للشباب عقيدته صافية نقية.

وقد نجح الملك عبد العزيز في ذلك، حيث ثبت فشل تلك المذاهب والأفكار في البلاد التي تبنتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً. وسلمت بلاده من تلك الأمراض الفتَّاكة، وقد سار أبناؤه البررة من بعده على هذا المنهج، ومعهم فقهاء وعلماء الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المبحث الخامس: نشر العلم وطباعة الكتب القيِّمة:

إنَّ المتتبِّع لتاريخ الدَّولَة السُّعُودِيَّة منذ نشأتها، يلاحظ أنَّها دولة تعليمية لا يكاد ينفصل فيها جانب الجهاد في سبيل الله لنشر الدَّعْوَة الإسلامية عن جانب التعليم ونشر العلم.

إلاَّ أنَّ التعليم - في بداية الأمر - كان على نطاقٍ ضَيِّقٍ، وكانت الأُمية هي الغالبة، بل كان

---

١ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. مُحَمَّد بن ناصر الشثري 275/1 عن مختصر ترجمة حال مُحَمَّد سلطان المعصومي ص 95

٢ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري 177/1 نقلاً عن جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة ، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ ص 31

التعليم معدوماً في بعض مناطق البادية١.

ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى قسوة المعيشة، وقلة الأمن، وندرة المعلِّمين المتفرِّغين، نظراً للظروف السائدة في ذلك الوقت.

لذا فقد أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنَّ الجهل بابٌ واسعٌ للفوضى في شتَّى مناهج الحياة. ورأى - رحمه الله - أنَّ المنهج الصحيح في بناء المجتمع المسلم هو محاربة هذا الدَّاء اللَّدود. وذلك بنشر العلم واعتماده وسيلة رئيسه للقضاء على الجهل والتخلُّف، وطريقاً إلى الاطلاع على منجزات العصر الحديث، والأخذ بأسباب التقدُّم والتطور، مِمَّا لا يتعارض مع العقيدة.

وكان اهتمام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بنشر العلم والمعرفة، أحد الإنجازات العظيمة، حيث حقَّق اهتمامه بهذا الجانب الذي حظي بدعمه المادِّي والمعنوي نجاحاً كبيراً.

ومن وصاياه لطلبة العلم قوله - رحمه الله - لخريجي معهد الطَّائف، الذين قدموا للسَّلام عليه في مكَّة يوم 7 صفر سنة 1350 هـ:

" أنتم أوَّل ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد، فاعرفوا قدر العِلْمِ واعملوا به، لأنَّ العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر"٢.

ويقول - رحمه الله - "قليلٌ من العِلْمِ يُبَارك فيه خير من كثيرٍ لا يبارك فيه، والبركة في العمل"٣.

وقد مرَّ التعليم في عهد الملك عبد العزيز بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تبدأ بعد فتح الملك عبد العزيز - يرحمه الله - للرياض في 5 شوال سنة 1319هـ، ويتركَّز اهتمامه في هذه المرحلة بإرسال الوعاظ والمرشدين إلى البادية ليعلِّمُوهم أمور دينهم، ويغرسوا في نفوسهم روح العلم والإخاء، وطمأنينة الأمن والاستقرار.

وذلك عن طريق "الهجر"، وبناء المساجد فيها، وبناءً عليه يمكن اعتبار إنشاء الهجر أوَّل محاولة للتعليم قام بها الملك عبد العزيز في هذا المجال٤.

هذا بالإضافة إلى وجود بعض الكتاتيت التي كانت منتشرة في بعض المدن والقرى، حيث تقوم بتعليم الصغار القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، وكان بعضهم يتخذ من زوايا المساجد أماكن للتدريس.

المرحلة الثانية: وتبدأ بعد ضم الملك عبد العزيز للحجاز، حيث أنشئت " مديرية المعارف العامَّة " في مكة سنة 1344هـ، ووضعت برنامجها الواسع لجميع المراحل التعليمية، وفتحت مدارس جديدة في سائر أنحاء البلاد.

ثُمَّ تحوَّلت هذه المديرية مع اتساع النشاط التعليمي إلى وزارة سنة 1373هـ، وأُنِيطَت - آنذاك - بصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز - حيث أخذ سموه في بذل قصارى الجهود في إشباع رغبات البلاد من مناهل العلم والمعرفة٥.

لقد سار التعليم في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - على الأُسُس الثابتة، والأهداف السامية، وأهمها اهتمامه بالعقيدة الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات التي ليست من الدين في

---

١ انظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص 171 ، الشيخ مُحَمَّد بنعبد الوَهَّاب للدكتور عبد الله صالح العثيمين ، ص 16 ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز سنة 1403 هـ.

٢ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص 332

٣ الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري 233/1

٤ انظر: الملك الرَّاشد ص 296

٥ انظر: شبه الجزيرة للزركلي 648/1 ، معجزة فوق الرمال ، لأحمد عسه ص781

شيء، والاهتمام بالعلوم الشرعية، واللغة العربية، كأساسٍ لبناء الفرد المسلم.

وقد حققت هذه الجهود الموفَّقة للمواطن السعودي التزود بالعلم، وغرس روح الإخاء الإسلامي، وحفظته من الانزلاق في مهاوي الجريمة، أو ارتكاب العادات السَّيئة.

لقد أدرك الملك المؤسِّس - رحمه الله - أنَّ حكمه في إقامة مجتمع عربي مسلم متحضِّر، لن يتحقَّق إلاَّ بالتزود بالعلم، فعمل رحمه الله على نشره.

وقدَّم لطلاَّبه الكتب والأدوات المدرسية بدون مقابل، وكذلك خصَّص لهم المكافآت لتشجيعهم على حَلِّ مشكلاتهم في حال غربتهم عن مدنهم وقراهم.

وليس من المبالغة إذا قلنا إنَّ الملك عبد العزيز - يرحمه الله - قد وضع كُلّ الإمكانيات المتاحة، وبذلَ كُلَّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل نشر العلم ومحو الأمية، والقضاء على الجهل والتخلُّف الذي كان سائداً في عموم البلاد.

وكان - رحمه الله - يرغب في أن يسير بالتعليم خطوات أكثر إلى الأمام، وبطريقةٍ أكثر تنظيماً، لولا انشغاله في تلك المرحلة بأمورٍ كثيرة، منها سعيه المتواصل لتوحيد أجزاء البلاد، وبناء صرح الوحدة السياسية للدولة، واهتمامه بنشر الأمن والعدل في كافَّة المناطق الخاضعة له، والعمل على تنمية الموارد الاقتصادية لهذا الكيان الكبير.

وإنَّ ما نشهده اليوم من نهضةٍ تعليمية شامخة،تستمد أُسسها ومقوماتها من مؤسِّس هذا الوطن القائد الباني الملك عبد العزيز – رحمه الله – الذي وضع أسسها ومقومهاتها، ونفذها من بعده أبناؤه البررة بكُلِّ عزمٍ وقوة وحرصٍ واهتمام، حيث بلغ عدد الجامعات في المملكة ثماني جامعات١، وبلغ عدد الطُلاَّب والطالبات في مراحل التعليم أكثر من ثلاثة ملايين طالب وطالبة، وبلغ عدد المدارس والمعاهد والكليات الآلاف في جميع أنحاء المملكة، ووصل التعليم إلى ذروة تقدُّمه في وقتنا الحالي، تحت رعاية ودعم خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - الذي بذل أعظم الجهود وأفضلها من أجل أن تتمكَّن البلاد في أسرع وقتٍ ممكنٍ من مسايرة الركب العالمي في كافَّة المجالات العلمية، مع التزامها بالعقيدة الصحيحة.

طباعة الكتب وإخراج المؤلَّفات القَيِّمة:

ونظراً لأهمية الكتاب في التثقيف ونشر الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة، فقد اتجه الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى طبع الكتب وإخراج المؤلَّفات القيمة التي تهتم بالعقيدة السَّلَفِيَّة وتطهيرها من أدران الشرك والبدع، طبع في الفترة الأولى من حكمه عِدَّة كتب، من مؤلفات شيخ الإسلام ابن

١في يوم 1419/1/9هـ – وأثناء الزيارة التفقدية لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني – لمنطقة عسير – أعلن معالي وزير التعليم العالي صدور الأمر السامي الكريم لخادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – بدمج فرعي جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، وجامعة الملك سعود، في جامعة واحدة جديدة تحت اسم جامعة الأمير عبد الله بن عبد العزيز. عقب ذلك أعلن صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز – إطلاق اسم الملك خالد بن عبد العزيز على هذه الجامعة قائلاً: " بسم الله الرحمن الرحيم. لخالد بن عبد العزيز آل سعود في نفوسنا مكانة مميزة، لذلك أُعلن تسمية هذه الجامعة باسمه بدلاً من اسمي". وبذلك تصبح جامعة الملك الخالد الجامعة الثامنة بالمملكة.

صحيفة الجزيرة، العدد 9352 بتاريخ 1419/1/10هـ ص1،8.

تيمية، وتلميذه ابن القيم، والإمام أحمد بن حنبل، والشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، وغيرهم من علماء الإسلام.

وكانت هذه الكتب تشتمل على كتب في التفسير، والحديث، والدَّعْوَة، والفقه، والتاريخ، والأدب، وغير ذلك مِمَّا يجد - رحمه الله - في طباعته ونشره خدمة للدعوة السَّلَفِيَّة.

وقد وُزعت هذه الكتب القيمة على الناس في داخل البلاد وخارجها مجّاناً١.

وكان الملك عبد العزيز يأخذ في طبع ونشر هذه الكتب بما يشير به عليه العلماء أو المستشارون، ومن المعروف أن جلساء الملك عبد العزيز هم من صفوة الرجال علماً وأدباً ورجاحة عقل. ومما لاشك فيه أنّ ما يلاحظ اليوم من استنارة ظاهرة في عقائد المسلمين، إنّما هو ناشئ عن هذه الدعوة المباركة التي مازالت تواصل دورها وتؤتي ثمارها في أنحاء الأرض.

المبحث السادس: تطبيق الشريعة وإقامة الحدود:

لقد أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - بثاقب بصره، وبُعْد نظره، أنَّ الناس عامة لا يمكن أن يصلح لهم أي نظام غير النظام الرباني، وقد كان لهذا الإدراك الأثر الكبير في نجاح جميع أموره في توحيد المملكة، وذلك لأنَّ كون الشريعة من عند الله يحمل الناس على احترامها، وطاعة أوامرها، وإنَّ في هذه الطاعة قربة إلى الله تعالى، ولا يخفى على أحدٍ أثر الشريعة الإسلامية في مجال العبادات والمعاملات من تحقيق المصالح بين الناس، وتنظيم العلاقة بينهم.

لذلك اعتمد الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الشريعة الإسلامية في جميع أعماله وتصرفاته من أجل توحيد المملكة، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار فيها، وحقن الدماء التي كانت تُرَاق في الماضي، وإقامة نهضة شاملة، في حدود ما تجيزه الشريعة السمحة.

وذلك امتثالاً لقوله تعالى - مخاطباً رسوله مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}**٢.

وقوله عزَّ وجلّ: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**٣.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسُنَّتي"٤.

وقد طبَّق الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الشريعة الإسلامية في بلاده غير مبالٍ بحملات التشكيك التي كانت تثار ضِدّ قدرة الشريعة الإسلامية على مواكبة الحضارة الحديثة، والوفاء بمتطلَّبات الحياة العصرية، وتدعو إلى الأخذ بالقوانين الوضعية، والأنظمة الحديثة.

وإنَّ من نافلة القول أن نقول: إنَّ الملك عبد العزيز لم يأت بنظامٍ جديد، ولم يُشرّع قانوناً، بل الذي عمله أنَّه طَبَّق أحكام القرآن والسُنَّة النبوية على الناس في مملكته، وأيقظ في النفوس وازع الإيمان بالله تعالى، والالتزام بما شرعه لعباده.

ولهذا قال - رحمه الله - عندما أراد السفر إلى مكَّة: " إنِّي مسافرٌ إلى مكَّة لا للتسلُّط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل

---

١ انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 1029/2 - 1033، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز 338-340، من حياة الملك عبد العزيز ص 253-256، الملك الراشد ص386-390.

٢ الجاثية: 18

٣ النساء: 65

٤ رواه مالك في الموطأ 899/2 ، والحاكم في المستدرك 93/1 ، وأصله في صحيح مسلم 890/2 عن جابر رضي الله عنه.

عباد الله، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلاَّ للشرع " ١.

ويذكر الأحيدب عن تمسُّك الملك عبد العزيز - رحمه الله - بالإسلام وشدَّة خوفه من الله، وتنفيذه للشريعة فيقول: " إنَّه لم يفرِّط في أي ركنٍ من أركان الإسلام طول حياته، وأنَّ مجالسه الصباحية والمسائية كانت عامرة بذكر الله من الدروس الدينية في الحديث والتفسير، والحكم الإسلامية، وأنَّه كان يرتجف خشيةً من الله حين يقول له أيُّ فرد من راعاياه (خف الله يا عبد العزيز) لأنَّه كان خاضعاً للشريعة السمحة، حريصاً على تنفيذ أحكامها، متمسِّكاً بها، مؤمناً بأنَّ خير المسلمين، بل خير البشر أجمعين، في اتِّباع تعاليم الإسلام وأخلاقه وهدايته"٢.

وقد أوصى الملك عبد العزيز - يرحمه الله - العلماء ورجال القضاء فقال: " إنَّ كتاب الله ديننا ومرجعنا، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دليلنا وفيه كُلّ ما نحتاجه من خيرٍ وإرشاد، ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كُلِّ أمر من الأمور"٣.

وكتب - رحمه الله - إلى العاملين في الهيئات بالمهام الموكلة إليها في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة، ومِمَّا جاء في ذلك:

1 - إلزام الناس بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلُّم الدين، والقيام على أهل المنكرات.

2 - جباية الزكاة وصرفها في مصارفها التي أمر الله بها والتحقُّق من أدائها على الوجه المشروع، وإنْ ظهر لهم منع أحد من إخراج الزكاة تؤخذ منه على الوجه الشرعي متحرِّين العدل.

3 - صيام شهر رمضان ومنع أي مظهر يتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

4 - تفقُّد ما ظهر من معاملات الناس وكشف التعامل الربوي منها والعقود الفاسدة ؛ فما عثروا عليه يخالف الشرع أبطلوه وأدَّبوا صاحبه.

5 - تأديب من وجد منه غش أو خيانة أو بخس في المكاييل والموازين حسب الحال... إلى غير ذلك٤.

وقد ألغى - رحمه الله - جميع القوانين التي كانت سائدة في السابق، وأصدر العلماء فتوى بتاريخ 8شعبان سنة 1345هـ، ومِمَّا جاء فيها: "وأمَّا القوانين فإنْ كانَ موجوداً منها شيء فيُزَال فوراً ولا يحكم إلاَّ بالشرع المطهَّر"٥.

وعندما بدأ الملك عبد العزيز في تأسيس المملكة رأى إنَّ من أول واجباته إقامة حدود الله على كُلِّ مَن اعتدى على النفس أو الدين أو النسل أو العقل أو المال.

---

١ حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، لعبد المنعم الغلامي ص 83 ، الرحلة الملكية: كتبها الشيخ يوسف ياسين ، جمع وتنقيح عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص20

٢ من حياة الملك عبد العزيز ص 24-25

٣ حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، لعبد المنعم الغلامي ص 84

٤ الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز إلى العاملين بهيئات الأمر بالمعروف ، مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز برقم 192.

٥ الدرر السنية 319/5

وبتطبيق الحدود تمكَّن الملك عبد العزيز من استئصال الجريمة في المجتمع، وعاش النَّاسُ في أمنٍ وعدلٍ منقطع النَّظير. بعد أنْ كانت الجزيرة العربية مسرحاً للفوضى والنَّهب والسَّلب وقطع الطريق، إذ أصبح كُلُّ مَنْ فيها آمناً على نفسه مطمئناً على أهله وماله، يشهد لذلك كُلُّ مقيم على أرضها.

ومن أجل سلامة تطبيق الشريعة الإسلامية، أنشأ الملك عبد العزيز - رحمه الله - رئاسة القضاء، وكان من مسؤولياتها تدقيق الأحكام الشرعية الواردة إليها... ويهدف هذا الإجراء إلى التأكُّد من أنَّ كُلَّ حكمٍ يتخذ فيما يتعلَّق بالحدود، يتمُّ وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

وأودُّ أن أُؤكِّد مرَّةً أخرى بأنَّ سِرَّ نجاح الملك عبد العزيز - رحمه الله - في إقامة هذه المملكة المباركة، وهذا الكيان الكبير، يعود في المقام الأول - بعد توفيق الله تعالى وفضله - إلى رغبة الملك عبد العزيز الصادقة والمخلصة في قيام دولة تلتزم العقيدة الصحيحة، وتنفِّذ الشريعة، وتقيم الجهاد، فكان له ما أراد، وسار أبناؤه البررة من بعده على نفس المنهاج.

المبحث السابع: الأخذ بمبدأ الشورى:

ومن الأُسُس التي انتهجها الملك عبد العزيز - رحمه الله - وقامت عليها المملكة العربية السُّعُودِيَّة، الأخذ بمبدأ الشُّورى، والاسترشاد بآراء العلماء وأصحاب الخبرة.

ومن الأدلَّة على أهمية الشورى ووجوبها قوله تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** ١.

وقوله عزَّ وجلَّ: **{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}**٢.

ومَنْ يتتبَّع كتب التراث الإسلامي يجد أنَّ كتب التفسير والحديث والتاريخ زاخرة بالأمثلة الدَّالَّة على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من مشورة أصحابه.

والشورى تكون في جميع الشئون العامة للأمَّة المسلمة، غير أنَّ الشورى لا تكون في أي قضية ورد فيها نص من القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية.

كما إنَّه لا يجوز أن ينتهي رأي المستشارين إلى نتيجة تخالف نَصّاً من النصوص التشريعية الواردة في القرآن الكريم، والسُّنَّة الشريفة.

أمَّا عدا هذين القيدين، فإنَّ كُلَّ أمر لم يرد فيه نص يمكن أن يكون محلاً للشورى إذا كان الأمر يتعلَّق بمسألة أو قضية تُعَدُّ من الشئون العامَّة للأمَّة.

وعملاً بتوجيهات القرآن الكريم الذي أمر بالمشاورة والحث عليها، فإنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - لم يؤثر عنه أنَّه انفرد بأمرٍ من الأمور دون أن يستشير خاصَّته وأركان دولته، وذوي العلم والرأي فيها، رغم ما هو معروف عنه من بعد النظر وأصالة الرأي والتفكير ٣.

وقد جاء في كتاب شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز تحت عنوان: "التعليمات الأساسية". أمَّا التعريف بالدَّوَلَة وشكلها وترتيباتها الإدارية وما إلى ذلك، فأوَّل نظام وضع لها كانت مادَّته من إملاء عبد العزيز بمكَّة في 16 صفر 1345 هـ، ونشر في الجريدة الرسمية يوم 21 صفر، باسم التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية "... " ونصَّت الفقرة (2) على العبارة التالية: "الدَّوَلَة، دولة ملكية، شورية، إسلامية، مستقلة في داخليتها وخارجيتها٤.

وقد شكَّل الملك عبد العزيز - رحمه الله - مجلس الشورى عام 1346هـ، وأوضح مهمة

---

١ آل عمران: 159

٢ الشورى: 38

٣ انظر: الملك الرَّاشِد ص 196

٤ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي 1/353-354

عضو مجلس الشورى بكُلِّ دقَّة وأمانة، يقول – رحمه الله: " دعوناكم لانتخاب أعضاء لمجلس الشورى الجديد، فالواجب يقتضي أن لا يتقاضى الإنسان في مثل هذه الحالة إلى قلبه، لأنَّ القلب دائماً ميَّال، يجب أن تنتخبوا الأكفاء من أهل الخبرة بحيث إذا قام هذا المجلس على أساسٍ قويٍّ تجني البلاد من ورائه الفوائد الجزيلة، يجب أن تنتخبوا مَنْ تعتقدون فيهم الإخلاص في العمل، والمقدرة في الدفاع عن حقوق الأهلين، لأنَّ الحكومة تأخذ حقها على كُلِّ حال، أمَّا الأهلون فهؤلاء أعضاء مجلس الشورى هم الذين سيكونون وكلاء عن الشعب، فإنْ أحسنتم اختيارهم وانتقاءهم أحسن هؤلاء الدفاع عن حقوقهم، فأحسنتم بذلك للبلاد والعباد"١.

ونلاحظ أنَّ مجلس الشورى قد نشط في أعماله، وكثيراً ما كانت تضاف له صلاحيات جديدة، خلال كُلِّ دورة من دورات تشكيله التي كانت تستغرق عاماً أو عامين أو أكثر، وكان له أحياناً سلطة رقابية على الجهاز الحكومي وعلى تطبيق بعض النُّظُم، ومدى ملائمتها للشرع٢.

وظلَّ المجلس يؤدِّي دوره بنشاط خلال فترة كانت البلاد بحاجة ماسَّة إلى جهوده، للإشراف على وضع نظم وتعليمات تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية، كي تلتزم بها الأجهزة والهيئات الحكومية التي بدأت في النمو والتزايد والاتساع حسب حاجة البلاد.

وقد اكتمل نظام مجلس الشورى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - حيث أصدر أمراً ملكياً بذلك في 1412/8/27 هـ.

وقد كان لنظام الشورى الذي اتخذه الملك عبد العزيز - رحمه الله - واقتفى أثره من بعده أبناؤه البررة، أكبر الأثر فيما تعيشه المملكة من تطور كبير في شتى المجالات، قائمٌ على التعاون بين ولاة الأمر والمواطنين، ومن خلال هذا المبدأ اكتسبت المملكة الصدق والوضوح والتثبت في كافة تعاملها مع الآخرين.

المبحث الثامن: توطين البادية والمؤاخاة بين القبائل:

كان المجتمع القَبَلِي في الجزيرة العربية - قبل عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - يغلب عليه التنافس والتنازع، فكُلُّ قبيلة لها زعامة مستقلة، وتتنافس مع القبيلة المجاورة لها في موارد المياه وأماكن الرعي. وبين هذه القبائل من العداوة والمعارك والأخذ بالثأر، مَا يجعل الحروب لا ينطفئ لهيبها وبدلاً من الوحدة والائتلاف، كان الشِّقَاق والنزاع بينها لا نهاية له، ولا حدود.

وكان من أهم خصائص البادية في ذلك الوقت ميلهم إلى الحُرِّية المطلقة، وعدم الخضوع لأي أنظمة سوى أعراف القبيلة وقوانينها.

يقول فهد المارك: " إنَّ مَنْ يعرف العهد الماضي الذي عاشه أولئك البدو، كيف كانت عليه حياتهم الاجتماعية التي موجز ما يُقَال عنها، أنَّها قامت على التعصُّب القَبَلِي الجاهلي الأعمى، وافتراس قويِّهم لضعيفهم، واستباحة ما يقع بأيديهم عن طريق ما يُعْرَف بالغزو..."٣.

ونظراً لكون البدو يُشَكِّلون نسبة كبيرة من سُكَّان شبه الجزيرة، وأنَّ لذلك خطره على مبادئ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة ؛ حيث أنَّهم ورثوا تقاليد وعادات تتنافى مع العقيدة الصحيحة.

لذلك فقد أدرك الملك عبد العزيز الدَّاء، وعالجه بسياسة حكيمة، حين رأى - رحمه الله - أهمية تنظيم حياة البادية، ليوظِّف قدراتهم وطاقاتهم في بناء الدَّولَة الفتية، فشرع في توطينهم، وتشجيعهم على الاستقرار فيما يُسَمَّى "بالهجر" وبعث إليهم الدعاة والمعلِّمين لتعليمهم وإرشادهم. وذلك لأنَّ معيشة البداوة وما فيها من غزو وسلبٍ وتفرُّقٍ وسفكٍ للدِّماء، لا يمكن أن تقوم معها حياة دينية ولا دنيوية صحيحة مستقرَّة.

---

١ انظر: الملك الرَّاشِد ص 358

٢ البلاد العربية السُّعُودِيَّة ، فؤاد حمزة ، ص 104

٣ من شيم الملك عبد العزيز 194/3

وقد انتشرت هذه الهجر حتى زادت على المائة خلال فترةٍ وجيزة، وكانت أول الهجر التاريخية الشهيرة هي "هجرة الأرطاوية" التي بُنِيَت سنة 1330هـ١.

وقد نجح العلماء والمرشدون الذين وجّههم الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الهجر في إعادة نور التوحيد وترسيخ العقيدة السلفية الصحيحة في سُكَّان هذه الهجر.

فأثمر هذا النجاح الوحدة والائتلاف والتعاون بين القبائل على أساس عقيدة التوحيد، وبتوفيقٍ من الله تعالى أُزيلَت جميع مظاهر الشِّرك، واستنار الناس بالعلم، وأصبحت الهجر موطناً ومنطلقاً للتوحيد.

يقول حافظ وهبة: "إنَّ من أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز: مشروع تحضير البادية وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة، وتعليم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق، ولا شكَّ أنَّه حصل نجاح عظيم لإصلاحات الملك عبد العزيز، وإقبال على دين الله خاصّةً من البدو الرُّحل، فقد أقبلوا على الهجر يبنونها بمساعدة الملك عبد العزيز، ويبني لهم المساجد، ويبعث إليهم المشايخ والأئمة وطلبة العلم يُعلّمونهم دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، حتى تَمَّ تهجيرهم، وأقبل الناس على بناء حضارة إسلامية، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثيرة في الدين والدنيا، والعلم، والقراءة، والأمن، والاستقرار، وما لا يحصى من النعم"٢.

وبهذه الجهود المثمرة، والإصلاحات الاجتماعية العظيمة، والموفقة، يتبيَّن لنا أنَّ الملك عبد العزيز قد عالج الجهل بالتعليم، وعالج الفقر بتوفير سُبُل الرِّزق الحلال، وعالج العداوة والنزاعات القَبَلِيَّة، وظاهرة الأخذ بالثأر، بتحقيق التآخي والألفة والمحبة والثقة، وعالج التفرقة بالاتحاد والائتلاف، "ومنع الغزو بين القبائل، وأحلَّ الإخاء والسلام والأمن بين الجميع"٣.

كُلُّ ذلك جمعاً للكلمة، وعملاً بقوله تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}** ٤.

وكان ذلك تأسِّياً بالنبي صلى الله عليه وسلم حينما آخى بين أصحابه - رضوان الله تعالى عليهم -، من المهاجرين والأنصار.

لقد غرس الملك عبد العزيز - رحمه الله - في هذه الأرض الطيبة وحدة الصَّف، ووحدة الكلمة تحت راية التوحيد، وفي ظلِّ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة توحَّدت الأقاليم، وتوحَّدت الجماعات، حتى أصبحت المملكة نموذجاً رائعاً، ومثلاً حياً للوحدة الوطنية الإيمانية، وحدة تعي واجباتها نحو ربها، ونحو ولاة أمرها، ونحو بلادها ومجتمعها.

قال عزَّ وجلَّ **{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**٥.

المبحث التاسع: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يُعَبَّرُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اصطلاح السَّلَف بالحِسْبة حيث عرَّفوها بأنَّها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله٦.

---

١ انظر: من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص 190 بتصرُّف .

٢ جزيرة العرب في القرن العشرين ص 289

٣ انظر: الملك الرَّاشِد ص 307

٤ آل عمران: 103

٥ الأنفال: 63

٦ انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص 240، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي ص 284 - 287

والأمر في اللغة ضِدّ النهي، قال تعالى: **{وأمرنا لنُسْلم لربِّ العالمين}**[١].

والمعروف شرعاً: اسم جامع لكُلِّ ما عرف من طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس، وكُلّ ما ندب إليه الشرع في المقومات والمحسنات، وهو من الصفات الغالبة[٢].

والنهي لغةً: المنع، والزجر، وهو خلاف الأمر.

والمنكر لغةً: الإنكار والجحود[٣].

والمنكر شرعاً: كُلّ ما قبَّحه الشرع وحرَّمه وكرهه فهو منكر[٤].

وقيل: ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً[٥].

ومن الأدلة على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته، قوله تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[٦]. وقوله عزَّ وجلَّ: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}**[٧]. وقوله سبحانه: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**[٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٩]. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم"[١٠]. إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته، وفي فضله، وفضل القائمين به.

وعندما فتح الملك عبد العزيز - رحمه الله - مدينة الرياض سنة 1319هـ، واستقرَّت الأمور نسبياً، كلَّف بعض الشيوخ الأفاضل، ليقوموا على ولاية الاحتساب، ومِنْ ثَمَّ فقد تَمَّ تنظيم أمور

---

١ الأنعام: 71

٢ انظر: لسان العرب 240/9 ، النهاية في غريب الحديث والأثر 216/3 ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر ، لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن مُحَمَّد آل الشيخ ص 7

٣ لسان العرب 343/15-344

٤ المرجع السابق.

٥ تيسير الكريم الرحمن ، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي 406/1

٦ آل عمران: 104

٧ الحج: 41

٨ آل عمران: 110

٩ صحيح مسلم 69/1 كتاب الإيمان ، رقم 78 ، وسنن أبي داورد 677/1 ، كتاب الصلاة ، رقم 1140 ، وسنن الترمذي 469/4-470 ، كتاب الفتن ، رقم 2172 ، وسنن النسائي 111/8 ، كتاب الإيمان ، رقم 508 ، وسنن ابن ماجه 406/1 ، كتاب إقامة الصلاة ، رقم 1275

١٠ سنن الترمذي 468/4 أبواب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم 2169.

هذه الولاية.
وقام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بتزويد المحتسب ببعض الرجال من أعوانه وجنوده، واتسع نطاق الحسبة ليشمل تولي أمورها في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية، مِمَّا استدعى إيجاد مقر دائم للرئيس العام بمدينة الرياض.
ونظراً لكون الدَّولَة السُّعُودِيَّة قامت على أُسُس إسلامية سلفِيَّة، ولإيمان الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأهمية دور ولي الأمر في تنظيم ولاية الحِسْبة والقيام عليها، ورغبةً منه في حماية الشريعة الإسلامية، والحفاظ على الأخلاق العامَّة للمجتمع، فقد تمَّ على يديه تأسيس أول هيئة لنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمكَّة المكرَّمة سنة 1344هـ.
وقد تشكَّلت الهيئة من علماء مكة ونجد.. وكان الهدف من إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر، وحثّ الناس على الطاعة١.
وجاء في قرار إنشائها البنود التالية:
1 - تتبع المعاملات والعادات، فما وافق الشرع منها تقره، وما خالفه تزيله.
2 - منع البذاءة اللسانية التي تعوَّدها السوقة.
3 - حث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة.
4 - مراقبة المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم، وحضور الناس بها، وغير ذلك من دواعي الإصلاح.
5 - أن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وإذا أعياها أمرٌ من الأمور رفعت مذكرة إلى ولي الأمر لإجرائه٢. لإجرائه٢.
وقد كان من الأمور الجديرة بالإشارة والإعجاب أن أنشأ الملك عبد العزيز - يرحمه الله - هذه الهيئة وهو لا يزال يخوض غمار توحيد أقاليم المملكة.
ومع أنَّه لا يمكن إغفال الأثر الذي ترتَّب على تأسيس هذه الهيئة، إلاَّ أنَّه لا يمكن إغفال جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله - الشخصية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمتمثِّلة في رسائله ومناصحته للأمراء وعامَّة الناس، بوجوب التزام الطاعات، والانتهاء عن المنكرات.
وقد عرف عن الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنَّه كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، متمسكاً بأحكام الشريعة الإسلامية، قولاً وعملاً، في كافة المجالات، عاملاً بما يحقِّق المصلحة لبلاده وشعبه، محبّاً للعلماء كثير التوجيه والنُّصْح والإرشاد لهم، إيماناً منه بأنَّ محبة الخير لإخوانه كمحبته لنفسه٣.
وقال - رحمه الله - في اجتماعٍ له بموظفي الدَّولَة: "نحن وضعنا جماعة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فبلاغاتها ومقرراتها تشمل الجميع على السواء، وأنتم يا جماعة الموظفين أحق الناس باتباع أوامرها واجتناب منهياتها، فإنَّكم أنتم المكلفون بتنفيذها، فإذا كنتم لا تبدأون بأنفسكم وتكونون قدوة صالحة للناس يصعب تطبيقها وتنفيذها"٤.
ومن الجدير بالذِّكر أنَّ التطور الذي شهدته الدَّولَة السُّعُودِيَّة في عهد الملك عبد العزيز،

---

١ انظر: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ، ص 24
٢ انظر: أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ص 211
٣ انظر: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ، ص 31
٤ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري 332/1 ، نقلاً عن جريدة أُمِّ القرى ، العدد 142 في 6 ربيع الأول 1346 هـ.

والنمو الذي حدث في النواحي السياسية والإدارية في البلاد - بعد التوحيد - أظهرت مجالات أخرى ذات صلة بمجالات الاحتساب، منها: الجهات القضائية المختلفة، والجهات الأمنية المختلفة.

إنَّ مهمَّة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هي مهمة الرسل والمؤمنين بالله تعالى، وذلك بالدَّعْوَة إلى الله بالترغيب والترهيب، والنصح، والإرشاد، والتذكير، والتبليغ، وإظهار الدين، وإقامته كما أراد الله ورسله، وإعلاء كلمة الله، والتعاون على البرِّ والتقوى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

وإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمة التي تمتاز بها على سائر الأمم، كما قال تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**١.

فاتَّصفت بالخيرية، لأنَّ الله قد هيَّأ لها من الأسباب والدلائل والآيات ما يمكِّنها من القيادة الرائدة لهداية العالم المملوء بالشرور وضروب الفساد. والأمة الإسلامية ما دامت مهيأة لهذه القيادة، فينبغي أن تكون مطيعة لله، جاعلة من شريعته منهجاً للحياة في كُلِّ المجالات.

والملك عبد العزيز - رحمه الله - قام بهذا الواجب الشرعي، فمكَّن الله له في الأرض، وبعث له خزائنها، وما ذلك إلاَّ لقيامه بمقومات التمكين من عبادة الله وحده، ونبذ البدع والخرافات، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الأعمال الصَّالِحة.

قال تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**٢.

وقال سبحانه: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}** ٣.

المبحث العاشر: التعاون بين الراعي والرعية:

وإنَّ من آثار الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة في توحيد المملكة ما استنه الملك عبد العزيز - رحمه الله - من سُنَّةٍ حسنة، حيث فتح باب مكتبه وباب قصره لأي مواطن يرغب الاتصال به.

وقد كتب منشوراً، وعلَّقه بالحرم النبوي الشريف، جاء فيه: " من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود.. إلى شعب الجزيرة العربية، على كُلِّ فردٍ من رعيتنا يُحِسّ أنَّ ظلماً وقع عليه، أن يتقدَّم إلينا بالشكوى. وعلى كُلِّ مَنْ يتقدَّم بالشكوى، أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كُلّ موظَّف بالبريد، أن يتقبَّل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي، أو أحفادي، أو أهل بيتي. لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلَّغت، اللَّهُمَّ فاشهد"٤.

وكان - رحمه الله - حريصاً على الاهتمام بشؤون رعيته، ورعاية جميع مصالحهم، والسؤال عن أحوالهم، وتفقد شؤونهم، ومدّ يد العون لهم في نوائبهم، وإكرام كبرائهم، والعطف على فقرائهم ومحتاجيهم، وكان يدفع ديون السجناء والمعسرين، ويأمر بإطلاق سراحهم، كان يختلط بجميع طبقات الشعب، الفقير والغني، والجاهل والمتعلِّم، وكان للعلماء مجلس خاص، يجتمع

---

١ آل عمران: 110

٢ النور: 55

٣ الحج: 41

٤ المصحف والسيف لمحي الدين القابسي ص 293 ، الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. مُحَمَّد بن ناصر الشثري 1/129-130

بهم ويستفتيهم في بعض الأمور، فتأتيه الفتوى في الحال وخاصّةً في تنفيذ الحد الشرعي في جرائم الحدود...١.

ومن خطبةٍ له في المدينة المنورة سنة 1346هـ: "إنَّني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخاً، وصغيركم ابناً، فكونوا يداً واحدة، وألّفوا بين قلوبكم، لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا".

"إنَّني خادم في هذه البلاد العربية، لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية. إنَّ الملك لله وحده، وما نحن إلاَّ خدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، ونأخذ على يد ظالمهم، وننصح لهم، ونسهر على مصالحهم، فنكون قد خُنَّا الأمانة المودعة إلينا ".

"إنَّا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنَّما يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد، والنظر في الأمور التي توفر الرَّاحة والاطمئنان لرعايانا...".

إلى أن قال: "إنَّ من حقِّكم علينا النُّصْح لنا، فإذا رأيتم خطأً من موظَّف، أو تجاوزاً من إنسان، فعليكم برفع ذلك إلينا لننظر فيه، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولاتكم"٢.

ويقول - رحمه الله: "فليس بيننا وبين أحد حجاب، فباب قصرنا مفتوحٌ لكُلِّ إنسان، ونحن ولله الحمد ما زلنا نوصي مأمورينا كلهم بتمشية أمور الناس، وتسهيل مصالح الرعية"٣.

ويقول - رحمه الله: "يعلم الله أنَّ كُلَّ جارحة من جوارح الشعب تؤلمني، وكُلَّ شعرة منه يمسها أذى تؤذيني، وكذلك الشعب فإنَّه يتألم إذا أصابني أي شيء، ولكن المصلحة العامَّة تضطرني بأنْ أقضي على مَنْ لا يصغى للنصح والإرشاد، وأن أتجرَّع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع"٤.

ويقول - رحمه الله: "إنَّ على الشعب واجبات، وعلى ولاة الأمور واجبات، أمَّا واجبات الشعب فهي الاستقامة، ومراعاة ما يرضي الله ورسوله، ويصلح حالهم، والتآلف والتآزر مع حكوماتهم فيما فيه رقي بلادهم وأمنهم، وينصحونهم ويخدمونهم، ويقومون بكُلِّ ما فيه مصلحة المسلمين وفائدتهم.

إنَّ خدمة الشعب واجبة علينا، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أنَّ مَنْ لا يخدم الشَّعب ويخلص له فهو ناقص"٥.

ومن هذا يتبيَّن لنا أنَّ الأسلوب السلفي الذي انتهجه الملك عبد العزيز في الاهتمام بشؤون الرعية، والقيام بمصالح الشعب، والقرب منهم، والعمل على حلِّ مشاكلهم، وقضاء حوائجهم، والعدل بينهم، كان له الأثر البالغ في محبة الشعب لمليكه، وتعاونهم معه بجدٍ وإخلاص في توحيد المملكة.

وعلى هذا المنهج سار أبناء الملك عبد العزيز البررة، فأبوابهم مفتوحة للجميع، واهتمامهم بالوطن والمواطن ليس له حدود، فآذانهم صاغية، وعيونهم ساهرة من أجل راحة الجميع، وخيرهم واصل للصغير والكبير، ولم يقتصر ذلك على المواطن والمقيم، بل تجاوز ذلك إلى جميع أبناء المسلمين في كُلِّ مكان.

يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - موضِّحاً للعلاقة بين

---

١ في آفاق التربية الوطنية ، د. سليمان الحقيل ص 49

٢ انظر: الملك الرَّاشد ص 360

٣ انظر: الملك الرَّاشد ص 358

٤ انظر: الملك الرَّاشد ص 381

٥ انظر: الملك الرَّاشد ص 377

الحاكم والمحكوم في المملكة: " فنحن نعتبر أنفسنا جزءاً من هذا الشعب، وليس هناك تمايز بين الكبير والصغير، فأبواب المسئولين مفتوحة لأي مواطن"[١].

الخاتمة

وبعد حمد الله على فضله وتوفيقه بإتمام هذا البحث المتواضع، أودّ أن أقتطف أهم النتائج التالية:

1 - إنَّ العقيدة هي القاعدة الأساس لهذا الدين، وهي مناط النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

2 - إنَّ الدَّعْوَة إلى منهج السَّلَف الصَّالِح أمرٌ يجب اتباعه والأخذ به، وذلك هو طريق الطائفة المنصورة، وهو طريق أهل السُّنَّة والجماعة، المتمسكين بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين وأئمة الهدى من قديم الدَّهر وحديثه.

3 - إنَّ دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب - رحمه الله - هي في حقيقتها دعوة لإحياء عقيدة السَّلَف الصَّالِح، قامت على الكتاب والسُّنَّة وفهم السَّلَف الصَّالِح.

4 - إنَّ أئمة الدور السعودي الأول، قد ناصروا دين الله، وإكرام علماء السُّنَّة، وساروا على المنهج السلفي الذي سلكه الإمام مُحَمَّد بن سعود والإمام الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - في بيان العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وإقامة الجهاد على أعداء الإسلام وأعداء الدَّعْوَة.

كما أنَّ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة ظلَّت قوية منصورة طيلة حكم الدَّولَة السُّعُودِيَّة الثانية.

5 - إنَّ هذه الدَّعْوَة المباركة التي قام بها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب وأيدها ونصرها الإمام مُحَمَّد بن سعود، لم تسلم من حروب شنَّها عليها أعداؤها أعداء الدين، ولكن الله تعالى ناصر دينه، ومعلي كلمته، ومتم نوره ولو كره الكافرون. قال تعالى: **{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الامْثَالَ}**[٢].

فحقَّق الله لعباده المؤمنين وعده بالنصر والتمكين على يد الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود - رحمهم الله.

6 - إنَّ دور العلماء السلفيين، والسمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة، وتطلع مجتمع الجزيرة العربية إلى قيام دولة تصحح العقيدة، وتطبق الشريعة، وتقيم الأمن والعدل بين الناس، عوامل ساهمت في قيام المملكة العربية السُّعُودِيَّة.

7 - إنَّ الصفات التي تحلّى بها الملك عبد العزيز - يرحمه الله - من قوة إيمانه بالله، وثقته به، وتوكله عليه، وملازمته لطاعة ربه، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإخلاص العبادة لله وحده، وما تحلّى به - رحمه الله - من حكمة في معالجة الأمور، وشجاعة، وقوة في الرأي وبُعْد في النظر والعفو عند المقدرة، وتواضع ووفاء لأصدقائه، وغيرها من صفات عظيمة وسجايا كريمة، كان لها الأثر الكبير في مودَّة الناس له، والترحيب به، والالتفاف تحت رايته.

8 - إنَّ تصحيح العقيدة، واتخاذ المنهج السليم القائم على الكتاب والسُّنَّة على فهم السَّلَف الصَّالِح، وإخلاص العمل له وحده، وتجريد المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم لهي من أعظم الأسباب التي تحقق للمسلمين ألفتهم، وتوحّد صفوفهم، وتعينهم على لزوم الجماعة التي أمروا بها.

وقد استطاع الملك عبد العزيز - يرحمه الله - بفضل الله وعونه وتوفيقه أنْ يؤسِّس المملكة

---

[١] مجلة المنهل ، العدد 346 السنة 51 المجلَّد 46 ص 53

[٢] الرعد: 17

العربية السُّعُودِيَّة على هذه الأُسُس، وأن يوحدها تحت راية التوحيد، التي رفعها عالية خفَّاقة على أرض الجزيرة العربية، فأعزَّ الله به أهلها بعد أن كانوا في ذلة، وأغناهم بعد فقرهم، وعلَّمهم بعد جهلهم، وأمَّنهم بعد خوفهم، وجعلهم في المقدِّمة بعد تخلُّفهم.

9 - لقد بذل الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الكثير والكثير من الجهد والجهاد في سبيل الوصول إلى توحيد المملكة، ومِنْ أجل إعلاء كلمة لا إله إلاَّ الله محَمَّد رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ومن أجل إقامة هذا الصرح الشامخ والكيان الكبير، وعمل على كُلِّ ما يُحَقِّق الخير لأمَّته، ويؤثر في حاضرها ومستقبلها.

فاتَّخذ - رحمه الله - كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم دستوراً لبلاده، ومنهجاً لرعيته، وقرَّب العلماء لاستشارتهم في أمور الدين، وتنفيذ أحكامهم، والعمل بنصائحهم وفتاويهم، مع ما عُرِفَ عنه - رحمه الله - من فكرٍ سديدٍ، وإدراكٍ عميق، واعتقادٍ سليمٍ، وحُرِّيَّةٍ في الاختيار، وقوة في الإرادة، وسعة في الأفق، ويشاركهم في التوجيه والنصائح، والدَّعْوَة والإرشاد إلى عقيدة السَّلَف الصَّالِح. لأنَّه يدرك أهمية العَالِم المُتَخَصِّص، ويعلم أنَّ ذلك هو المنهج الصحيح.

وركَّز - رحمه الله - على العقيدة السَّلَفِيَّة، وحمايتها، والذَّبِّ عن حياضها، والوقوف بقوة وحزم أمام الأفكار والمذاهب الهدَّامة، واهتمَّ بنشر العلم، وتوطين البادية، والمؤاخاة بين القبائل، وتطبيق الشريعة، وإقامة الحدود، وتحقيق الأمن والاستقرار، والأخذ بمبدأ الشورى، والأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنُّصح للمسلمين، واتَّخذ سياسة الباب المفتوح، والاهتمام بشئون الرعية، ورعاية مصالح الشعب، والعمل على حَلِّ مشاكله، وقضاء حوائجه. مِمَّا كان له الأثر البالغ في محبَّة الشعب لراعيه وولي أمره، وتعاونه معه بجد وإخلاص في توحيد البلاد والعمل على رقيها وتقدُّمها.

وليس في مقدور الباحث أن يحيط بأبعاد شخصية الملك عبد العزيز، وعبقريته، وأعماله، وسداد رأيه.

ولكن من المعلوم أنَّ الملك عبد العزيز لَمَّا قام بدين الله، والعمل بكتابه، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحكيم شرعه، ونشر عقيدة السَّلَف الصَّالِح، مكَّن الله تعالى له في الأرض، واستطاع بفضل الله تعالى وعونه وتوفيقه، أن يؤسِّس بنياناً شامخاً، ويقيم صرحاً كبيراً، ويضع نهضةً حضارية ما زال أبناء هذا البلد العزيز يسعدون بنعيمها، ويعيشون في ظلالها، تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، وولي عهده الأمين الأمير عبد الله، والنائب الثاني الأمير سلطان.

لذا فإنَّه يجب علينا أنْ نتمسَّك بعقيدتنا الصحيحة التي قامت عليها هذه الدَّولَة المباركة، فما نعيشه من أمنٍ واستقرارٍ ورخاءٍ إنَّما هو بفضلٍ من الله تعالى، ثُمَّ بالتمسك بهذه العقيدة، وتطبيق أحكامها. وأن نشكر الله تعالى على ما نحن فيه من نعمةٍ عظيمة، فإنَّ دوام النِّعَم واستمرارها مرهونٌ بشكرها، وذلك بشكر المنعم بها، وهو الله تعالى، ثُمَّ بشكر ولاة الأمر الذين تحقَّقت على أيديهم - بتوفيقٍ من الله وفضل - هذه النِّعَم.

كما أنَّه يجب على كُلِّ مَن يقيم على أرض هذه البلاد الطيبة، أن يجعل من نفسه رجل أمن، سواء كان فلاَّحاً، أو عاملاً، أو تاجراً أو موظَّفاً، أو معلِّماً، أو طالباً، أو غيره، لأنَّ النعمة التي نعيشها ليست لشخصٍ دون آخر، وإنَّما هي نعمةٌ للجميع. كما يجب علينا أن نصون عقول شبابنا مِنْ آثار الغزو الفكري، والأفكار الهدَّامة، والحفاظ على عقيدتهم صافية نقية.

وفي الختام أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يديم علينا أمننا وإيماننا، وأن يوفِّق ولاة أمرنا لِمَا يحبه ويرضاه، إنَّه وليٌّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين